

بسم الله الرحمن الرحيم

كلاس نمبر (٣٣) سورة البقرة آية : (٦)

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (البقرة : ٧)

كلمة " خَتَمَ "

كلمة " ختم " لغة :

خَتَمَ : صيغة الواحد المذكر الغائب من فعل ماضٍ معلوم ، باب : ضرب يضرب : خَتَمَ ، يَخْتُمُ ، خَتْمًا وَخَتْمًا
الحروف الأصلية : خ ، ت ، م . من الحروف الصحيحة ، فاعله : الضمير المستتر أي : هو

معناه لغة :

خَتَمَ على الطعام والشراب وغيرهما : غَطَّى فُوْهَةً وَعَائَهُ بَطِينٍ أَوْ شَمْعٍ أَوْ غَيْرَهُمَا ، حتى لا يدخله شيءٌ ولا يخرج منه شيءٌ . فخر مختومٌ كما في قوله تعالى : (يُسْمَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) المطففين آية ٢٥ .
و خَتَمَ على فمه : منعه الكلام كما في التنزيل العزيز : يس آية ٦٥ : الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ .
ويقال : خَتَمَ على قلبه : جعله لا يفهم شيئاً ، كأنه غَطَّاهُ كما في هذه الآية : خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً) .

١ . " خَتَمَ عَمَلُهُ " : أَنْهَاهُ .

٢ . " خَتَمَ وَرْقَةً إِدَارِيَّةً " : طَبَعَهَا بِالْخَاتَمِ . " خَتَمَ عَلَيْهَا " .

٣ . " خَتَمَ عَلَى أَسْئَلَةِ الْإِمْتِحَانِ بِالشَّمْعِ " : جَعَلَهَا فِي غِلَافٍ وَوَضَعَ عَلَيْهَا الشَّمْعَ .

٤ . " خَتَمَ الْكِتَابَ " : أَكْمَلَ قِرَاءَتَهُ ، أَمَّهُ .

٥ . " خَتَمَ الصَّيِّئُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ " : أَكْمَلَ حِفْظَهُ وَقِرَاءَتَهُ .

٦ . " خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالْحَيْرِ " : جَعَلَ هَيَاتَهُ سَعِيدَةً .

٧ . " خَتَمَ عَلَى صَاحِبِهِ " : أَعْرَضَ عَنْهُ .

٨ . " خَتَمَ بَابَهُ لَهُ " : أَثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ .

٩ . " خَتَمَ الزَّرْعَ أَوْ عَلَيْهِ " : سَقَاهُ أَوَّلَ سُقْيَةٍ بَعْدَ الْحَرْثِ وَالْبَدْرِ .

و الخَاتَمُ بفتح التاء وكسرهما والخِتَامُ والخَاتَمُ كله بمعنى والجمع الخَوَاتِيمُ ، وَنَخْتَمُ لبس الخاتم
و خاتمة الشيء : آخره .

و الخِتَامُ : الطين الذي يختم به وقوله تعالى { ختامه مسك } أي آخره لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك كما في قوله
صلى الله عليه وسلم : الأعمال بالخواتيم يُرِيدُ آخِرَهَا ، وَخَوَاتِمُ السُّورِ : أَوَاخِرُهَا

الخلاصة : أن مادة "خَتَمَ" يرجع معانية لغة إلى : تكملة الشيء ، تغطية الشيء ، المنع ، آخر الشيء .

معاني في القرآن :

ذكر بعض المفسرين أن الختم في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : الطبع : ومنه قوله تعالى في البقرة " خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ (البقرة : ٧) " وفي الجاثية : وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً (الجاثية : ٢٣)

والثاني : الحفظ والربط : ومنه قوله تعالى في (الشورى : ٢٤) " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُجِئُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " أي : يحفظه ويربطه .

والثالث : المنع : ومنه قوله تعالى في (يس : ٦٥) : " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " أي : نمنعها الكلام .

والرابع : الآخر : ومنه قوله تعالى في الأحزاب " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب : ٤٠) " ، وفي المطففين " خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (المطففين : ٢٦) "

الخلاصة : معاني الكلمة في القرآن : الطبع ، الحفظ و الربط ، المنع ، الآخر

معنى كلمة : خَاتَمَ النَّبِيِّينَ:

فإذا معنى الآية : مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب : ٤٠)

فكلمة " خَاتَمَ " قرأ بفتح التاء وكسرها ، و خاتم بفتح التاء اسم آلة أي التي يُخْتَمُ بها أي : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) يعني آخر الأنبياء و الرسل و ليس بعده نبي و لا رسول ، و " خَاتِمَ " بكسر التاء اسم فاعل على وزن فاعل و المعنى يرجع نفسه أي هو الذي خَتَمَ الأنبياءَ و صار آخرهم .

و ورد في هذا عدة من الأحاديث و يرجع هذا المعنى إلى حد التواتر منها :

قال -صلى الله عليه وسلم-: (فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت في

الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، أرسلت على الخلق كافة، وختم بي النبيون). مسلم ١١٩٥

وعن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا

المحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحْشِرُ الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي)

بخاري ٣٣٣٩ مسلم ٦٢٥٢ .

و عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب - رضي الله

عنه - : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي » . بخاري ٤٤١٦ مسلم ٦٣٧٠

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك

نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي)) بخاري ٣٤٥٥ مسلم ٤٨٧٩

رأي القاديانية في هذه الآية :

قالت القاديانية : "إن كلمة خاتم قد تستعمل في معنى الأفضل والأشرف، كما يقال خاتم الشعراء وخاتم المهاجرين، مثلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا عباس أنت خاتم المهاجرين كما أنا خاتم النبيين"، و خاتم الأولياء يعني أفضلهم ،
فنقول : الحديث موضوع .

و أما معنى الأفضلية فقد يستعمل الكلمة لهذا المعنى لكن هذا المعنى هو مجاز ، و ليس بحقيقة . و ينتقل من الحقيقة إلى المجاز لقريظة تدل على ذلك ، و هنا ليس قريظة بل القريظة القائمة هي على معناها الأصلية اللغوية .
مثلاً قوله تعالى : **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** (يوسف : ٨٢) فالسؤال من نفس القرية محال في الواقع فيراد به أهلها ، و القرينة هو عرف العام و كلمة العير الموجودة في هذه الآية .

فوائد :

الأصناف الذين يطبع الله على قلوبهم في القرآن تسعة، وهي:

١- الكُفْر:

قال الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرٍ حَقٌّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].
وقال تعالى أيضاً: ﴿ تِلْكَ الْفَرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١].

٢- النفاق:

قال تعالى عن المنافقين: ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٧].
وكذا قوله: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣]. و"الخوالف": النساء في البيوت.

٣- الإسراف في المعاصي والذنوب:

قال تعالى: ﴿ أَوْمٌ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

٤- الجهل:

قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩].

٥- استحباب الدنيا على الآخرة:

قال تعالى: ﴿ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٧، ١٠٨].
وقال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٦- اتباع الهوى :

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

٧- التكبر:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

٨- تكذيب كتاب الله وسنة رسوله:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤].

٩- الارتداد عن دين الله:

قال تعالى: ﴿ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]؛ أي: جعل الله على قلوبهم حتمًا بالكفر عن الإيمان؛ بسبب ارتدادهم عن دينه، فهم لا يفقهون صوابًا من خطأ، وحقًا من باطل؛ لطبع الله على قلوبهم [١٥].

هذا

و الله أعلم بالصواب و أسأل الله التوفيق و السداد
و صلى الله على حبيبه سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين